

جناية أحمد أمين

على الأدب العربي

للدكتور زكي مبارك

(التهية)



هل أستطيع أن أحدث القارئ مرة عن بعض مكاره النقد الأدبي؟

ليتني أعرف من أغروني بسلوك هذا الطريق المحفوف بالمخاطر والمخاطب والمخوف!

كنت تبث ونجاني الله من مهلكات هذا الطريق الرعرع الشائك، فكيف رجعت إليه بعد أن عرفت وجه الخلاص؟

كان الأستاذ أحمد أمين أحد الأصدقاء الذين رأيت أن أتجنب الوقوف في طريقهم مهما كانت الأحوال، وكانت الحجة بيني وبين نفسي أن هذا الرجل رقيق الإحساس، أو ضعيف الأعصاب، فلا يجوز أن أعرض له بإيذاء

وما زلت أذكر ما وقع في سنة ١٩٣٥

كنت يومئذ مدرسا بكلية الآداب، وأخرج الأستاذ أحمد أمين الجزء الثالث من فحي الإسلام، وقد سرق من الأستاذ إبراهيم مصطفى مسألة متصلة بتاريخ النحو وسرق مني مسألة متصلة بتاريخ التشريع الإسلامي، فصاح إبراهيم: إن هذا أخى له تسع وتسعون نعمة ولى نعمة واحدة فكيف يسرقها مني؟ إنه لطماع!

جلست أنا وإبراهيم نتشاكى في غرفة أساتذة اللغة العربية، وانتقلنا من التشاكى إلى التباكى، فهتفت: سأنتقم لى ولك يا إبراهيم!

تال: يمز على أن يجرح الأستاذ أحمد أمين بسببي، وهو صديق قديم، ولم نهب مني شيئا قبل هذه المرة، وأنت يا صديقي قد أوغلت في مصادرة طه حسين فلا تضيف إليها معاداة أحمد أمين!

وشامت المقادير أن أقص هذه القصة على بعض أصدقائي في بغداد سنة ١٩٣٨ فكان من أثر ذلك أن يوجه إلى سؤال في جريدة «الكلام» عن بيان ما سرق مني أحمد أمين ورأيت أن أعتصم بالصمت فلا أجيب: لأنى كنت نشرت قبل ذلك كلمة أنثيت بها على جهود أحمد أمين في جريدة «الهدف» ولأنى كنت أستقبح اغتيال أبناء وطني في جرائد بغداد، فقد كان أدباء لبنان يسمونني سفير العروبة للصربية في العراق

ومنذ أشهر نشر الأستاذ أحمد أمين مقالته الأولى فيما سماه جناية الأدب الجاهلى على الأدب العربى فلم تعجبني: لأنى رأيتها من الحديث الماد، ثم لقيني مصادفة في «الترى» بعد ظهور مقالته الثانية فسألني عما أراه في الأفكار التي أودعها مقالتيه، فقلت له: لم يعجبني غير نقد الشاهد الذي أوردته من كلام ابن قتيبة، أما سائر أفكارك فتحتاج إلى تحقيق، فقال: أنا دعوت القراء إلى مناقشة تلك الأفكار، وأنا أرحب بكل ما يرد إلى من تصحيح

فهل كان يدعوني إلى أن أساجله الحديث؟

كانت الصداقة بيني وبين الأستاذ أحمد أمين قد بلغت أقصى حدود المثانة والصدق، وما كان ينتظر أن يرى مني غير ما يحب، وكنت والله خليقا بالتجاوز عن سيئاته لو لم يسرف في الإساءة إلى ماضى اللغة العربية في وقت يحرص فيه العرب على تفهيم أبنائهم أن أجدادهم كانوا من أصحاب المنازل الرفيعة في العلوم والآداب والفنون، وأنهم كانوا في ماضيهم من أقطاب الزمان وكذلك وقمت الواقعة وكان ماعرفه القراء من تمزيق الأوهام التي اعتبر بها ذلك الصديق

ولكن ما الواجب لهذا التمهيد في مطلع المقال الثانى والمشرين؟ أنا أريد أن يعرف القارئ أنى أشعر بالضجر حين أثبت في مقال اليوم أن أحمد أمين سرق بعض آرائى، بعد أن أثبت ما سرق من الدكتور أحمد ضيف والدكتور طه حسين، وما كان يهمنى أن ينص على ما سرق منى، ولكن اعتزازه بآرائه «البتكر» أوجب الحد من جرائه العاتية في نهب تلك البتكرات

وأدخل في صميم الموضوع فأقول :

اهتم الأستاذ أحمد أمين بالنص على أن الشعر العربي كان في أغلب أحواله أدب معدة لا أدب روح ، وحجته في ذلك أن التمسك بالشعر كان عادةً غالبيةً على أكثر الشعراء ، وقد طنطن بهذه المسألة وأخذ يعيدها في كل مكان حتى صحت للأستاذ محمد العشماوي بك أن يراجعني بهذه العبارة :

« كيف تميب على الأستاذ أحمد أمين أن يقول إن شعراء العرب كانوا يتجرون بأشعارهم ، وهو قول صحيح ؟ »

فهل ابتكر الأستاذ أحمد أمين ذلك الرأي ؟

أنظروا ما جاء في كتاب « البدائع » ج ١ ص ٩٩

« لا أنكر أن كثيراً من الشعراء اتخذوا مدح الملوك والأمراء وسيلة من وسائل العيش ، ولا أنكر أن كثيراً منهم وصل بذلك إلى أسفل دركات الإسفاف ، وأصرح بأن من النقائص النفسية أن يسخر الشعر تسخيراً في سبيل المنافع الزائلة ، وأعترف بأن هذه النقيصة تمس كثيراً من شعراء اللغة العربية ، وإن كان من أسباب الغناء أن هذه النقيصة لم ينفرد بها شعراء العرب فقد كان أكثر الشعراء في أوروبا يعيشون حالةً على الملوك والأمراء ولم يعرف منهم باستغلال الشخصية إلا القليل . ولكني - مع هذا - أقول بأن المديح ديوان العرب ، وهو الوثيقة الباقية على ما كان فيهم من كرم الشرائع والخصال . والمادحون قد يكذبون ، ولكنهم في كذبهم يصورون ما اصطالح عليه معاصروهم من ألوان المحاسن والعيوب ، فالشاعر الكاذب يقف كذبه عند حقيقة ممدوحه ، ولكنه من الجهة الاجتماعية صادق كل الصدق ، لأنه يصور ما يتشعق ممدوحه أن يتصف به من كرائم الخلال »

وهذا البحث كان من البحوث التي راعت الأستاذ المازني وكان نُشرَ في جريدة البلاغ قبل أن يُضم إلى الطبعة الثانية من كتاب البدائع

وقد رأى الأستاذ أحمد أمين أن ينهب الشطر الأول من الفكرة وينقل الشطر الأخير ، لأن الشطر الأخير فيه توجيه لمدائح الشعراء وهو حريص على طمس محاسن أولئك الشعراء

وعاب أحمد أمين على العرب أن يلتزموا افتتاح القصائد بالنسب وأن يتفلقوا بهذه العادة من جبل إلى جبل ، في حين أن

الشاعر قد لا يكون مشبوب الماطفة في كل حين

وهذا الكلام مسروق من مقال أرسلته من باريس سنة

١٩٣١ وفيه أقول :

« لقد درج شعراء اللغة العربية منذ الزمن القديم على افتتاح القصائد بالنسب ، وتلك طريقة لها محاسن ولها عيوب : فمن محاسنها أنها تمهد للشاعر طريق الكلام ، وهي بذلك أشبه بالموسيقى تتقدم الغناء ليثور قلب المنفى ويرفع إحساسه للتلحين والتطريب . ومن مساوئها أنها تفرض على الشاعر ما لا قبل له باحتاله من التفتي بمواطن قد تكون تخدمت في صدره منذ أزمان . على أن الشعراء الأقدمين قد التزموا هذه القاعدة حتى وصلت ببعضهم إلى الإسفاف ، وحسب القاري أن أذكر له أن من الشعراء الماضين من كان يفتتح قصائد الرثاء بالنسب ، وذلك أغرب ألوان الشذوذ ، وقد أحصيت من هذا النوع عشرين شاهداً هي في مذكراتي بمصر ، فليعذرني القاري إن اكتفيت بالإشارة إليها في هذا الحديث » (١)

وصرح أحمد أمين بأن المعاني القديمة لم تخضع للتجديد ، وإنما نقلها الشعراء بلا تجميل ولا تحسين . أفلا يصح القول بأنه سرق هذه الفكرة مما جاء في كتاب « البدائع » ج ١ ص ٢٩ « إن شعراءنا يدورون حول الحسن فلا يرون منه غير ما كان يرى الأقدمون . فخير الشاعر اليوم هي حيرة أسلافه منذ قرون مع أن النفوس قد تعمقت أشد التعمد ، وهذا الحسن - إن لم يلفظ الله - مريض في الفتك بلغائف القلوب ، وقد جدت للأرواح أزمت جديدة ومطامح جديدة لم يشق بها الأولون ، فليس من الغلاة في شيء أن نصارح القراء بأن النزول في شعر شوقي وأضرابه من المعاصرين أصبح أعجز ما يكون عن وصف ما في نفوسنا وأرواحنا وقلوبنا من ألوان القلق والظلم والالتباس »

واهتم الأستاذ أحمد أمين بتوكيد القول بأن نزعة القرآن روحية لا حسية . فقال بذلك ثناء الأستاذ محمود على قراءة الذي عد كلامه من المبتكرات ، فهل يعلم أن هذا الكلام مسروق من قول صاحب « التصوف الإسلامي » ج ٢ ص ٧

بشرح النصوص والبحث عن مواطن الجلال في النثر الجيد والشعر البليغ ... درس تاريخ الأدب في المدارس الثانوية جهده ضائع ، وستصبر عليه إلى أن تسوق المقادير رجلاً حاذقاً من بين الذين عرفوا عقلية التلاميذ ، وما أظن أننا ستصبر طويلاً ، لأن العناية بإصلاح التعليم تزداد من يوم إلى يوم ، وإلى أن تحذف تلك المادة الفضولية نوصي أساتذة اللغة العربية بأن يتخيروا للمطالعة والمحفوظات نصوصاً لا تخرج عن الأدب الحديث ، لأنه أقرب المصور إلى أذهان التلاميذ ، وقرُّبه من أذهانهم يساعد المعلمين على بيان ما يتصل به من اللابسات الخلقية والاجتماعية، ويمكن التلاميذ من فهم ما فيه من أسرار البيان »

ورسالة « اللغة والدين والتقاليد » نشرت في سنة ١٩٣٦ ، والفكرة قديمة عند صاحب هذه الرسالة فهي مُشَبَّهَةٌ في كتاب « ذكريات باريس » الذي طبع في سنة ١٩٣١

وأحمد أمين يعرف أن الجندي المجهول الذي اسمه زكي مبارك هو الذي غير منهج دروس الأدب في مدارس وزارة المعارف من حال إلى حال ، فقد كانت تبتدىء بالمصر الجاهلي فصارت تبتدىء بالمصر الحديث . ومن السهل أن نستخرج المذكرات التي قدمتها للوزارة في هذه القضية ليمرف أحمد أمين هُجْرِيَّة الرجل الذي وأد كتاب « المحمل » وكتاب « المفصل » عليهما رحمة الله ، وعلى مؤلفيهما السلام ، وهي تحية تصل أصدائها إليه وإلى على الجارم وأحمد ضيف وعبد العزيز البشري وطه حسين وسيأتي يوم أفصل فيه ما أدبت من الخدمات لتوجيه الحياة العلمية بوزارة المعارف ؛ تلك الخدمات التي انتفع بها أحمد أمين وغير أحمد أمين ، ثم مضت بلا شكر ولا جزاء غير السرقة والانتهاب !

إن الفخر ببيض ممقوت ، وقد عابه على الأصدقاء قبل الأعداء ؛ ولكن ماذا أسمع وأنا أشهد آرائي كُتِّبَ بلا تحرُّز ولا ترفق ، وبها يرد على خصومي حين يشجر القتال ، وكأنها مما ابتكرت أفكارهم الثواقب وألسنتهم النواطق !

ويقول أحمد أمين وطه حسين : إن الأدب يجب أن يرفع نفسية الأمة ويدلها على مواطن الضعف والقوة لتواجه الحياة عن هدى وبصيرة

« وأقرب الآثار الصوفية إلى أذهان الناس هو القرآن ، ذلك الكتاب الذي أطال القول في وصف الدنيا وذمها وثلبها وتحجيرها ، وقضى بأنها لها ولرب ، وأنها في نصارتها ليست إلا متاع النور . القرآن هو أقرب الآثار الصوفية إلى أذهان الناس وإن جهلوا ذلك ، هم بمدونه كتاب تشريع وزاد كتاب تصوف . إن التشريع في القرآن ليس إلا تنظيمًا للعلاقات الدنيوية ، والعلاقات الدنيوية في نظر القرآن هي تمهيدٌ للصلات الروحية : صلات الناس بالله الكبير المتعال ، وكلُّ مَنْعَمٍ لا يُقَرَّبُ المرء من ربه هو في نظر القرآن ذُخْرٌ باطلٌ سخيف » ومع ذلك يقال إن أحمد أمين يدعو إلى الروحانيات وإن زكى

مبارك يقاوم الروحانيات !

فيا رب هل إلا بك النصر يُرْتَجَى

عليهم ؟ وهل إلا عليك المولى ؟

غفر الله لي ولكم ، يا إخوان هذا الزمان ! وبوصي أحمد أمين بقصر دراسة تاريخ الأدب على المعاهد المالية والاكتفاء في المدارس الثانوية بنصوص مختارة من الأدب الحديث فن أين أخذ هذا الكلام وهو الذي اشترك مع لجنة مكونة من أشخاص معروفين في تأليف كتابين للمدارس الثانوية بُدِئَ فيهما بالأدب الجاهلي والأدب الأموي ، وهما عصران أعلن عليهما الحرب في هذه الأيام ؟

أخذ هذا الكلام من قول صاحب رسالة « اللغة والدين والتقاليد » ص ٤٢ و ٤٣

« إن درس تاريخ الأدب بدعة نقلناها نقلاً عن أوروبا ، وهي مقبولة هناك ؛ لأن الأدب الأوروبي يكثر فيه القصص والتمثيل ، وهي موضوعات ألفتها التلاميذ ، لأنهم منذ الطفولة عرفوا القصص وعرفوا التمثيل ، فلا يصعب عليهم أن يفهموا الفرق بين فن وفن ، وعصر وعصر ، وأسلوب وأسلوب . أما في مصر فالأدب في جلته يتحدث عن شئون رجيدي لم يبرفها الشبان من قبل ، فن المسيران يدركوا كيف تطور واستحال من جيل إلى جيل ... إن تاريخ الأدب لا ينبغي أن يدرس إلا في المعاهد المالية ، أما المدارس الثانوية فيدرس فيها الأدب الصَّرف ، مع العناية

من كتاب « الدين الاسلامي »

من هو المسلم ؟ للأستاذ علي الطنطاوي

—•••—

ديننا علم واعتقاد وعمل

فالمسلم من (علم) أن الله عز وجل بعث محمداً صلى الله عليه وسلم على حين فترة من الرسل بالشرعية الخالدة التي تصلح لكل زمان ومكان، والتي تكفل لتبليغها سعادة الدنيا والآخرة، وجعلها رحمة للعالمين، وهدى للناس أجمعين، وأنزل عليه الكتاب الذي ما فرط فيه من شيء، القرآن كلام الله القديم، وختم بالإسلام الرسالات فلا نبي بعد محمد خاتم النبيين

و (علم) أن دعامة الإسلام وأساسه، ومصباحه ونبراسه، كتاب الله وسنة نبيه، فاجاء في القرآن أو صح أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله فهو من الدين، وما عدا ذلك من بدع ابتدعها في الدين قوم، أو زيادات زادها أقوام ليست في القرآن ولم ترد في الحديث الصحيح ولا تقاس عليهما ولم يجمع عليهما أئمة المسلمين فليست من الدين ولو قال بها أهل الأرض

و (علم) أن الإسلام لا يشبه الأديان ولا يقاس عليها، لأنه دين وشرعية وسياسة وأخلاق، فهو يبين صلة العبد بربه، ويضع القوانين لصلوات الناس بعضهم ببعض، ويبني قواعد العلاقات السياسية بين الدولة الإسلامية وغيرها من الدول، والإسلام يرافق المسلم إذا غدا أو راح أو طلع أو نزل لا يفارقه لحظة ولا خطوة. وليس في الدنيا عمل لا يدخل فيه الإسلام ويبين فيه حكم الله، فإما أن يكون مباحاً لا يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه، وإما أن يكون مندوباً يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه، وإما أن يكون واجباً يثاب فاعله ويعاقب تاركه، وإما أن يكون مكروهاً يثاب تاركه ولا يعاقب فاعله، وإما أن يكون حراماً يثاب تاركه ويعاقب فاعله. وهذه الأحكام الخمسة (الفرض والتدبوع والباح والمكروه والحرام) هي التي تحدد مكان كل عمل من الدين ولا يخلو عمل من واحد منها. فالمسلم لا يقول أبداً (هذا الأمر خارج عن نطاق الدين لا دخل له فيه) كما أنه لا يقول (إن الإسلام يجب أن يتفصل عن السياسة) لأن السياسة جزء من أجزاء

فهل أستطيع أن أقول إن هذه الآراء منهوبة من قول صاحب رسالة « اللغة والدين والتقاليد » (ص ٤٦ و ٤٧) « فإذا انتقلنا من الأدب وتاريخ الأدب في المدارس الثانوية والمالية تلفتتنا نبحت عن الأدب المخلوق للدرس الحياتي، ونحن نرجو أن يكون في أساتذة الأدب من يخرج على الذوق المتكلف والوقار المصنوع، نرجو أن يكون عندما أساتذة يزورون تلاميذهم في بيوتهم، ويرافقونهم في الحفلات والسهرات، ويطوفون بهم على الأحياء الشعبية ليعلموهم كيف تكون الثورة على ما في حياة الشعب من يؤس وشقاء... نريد أساتذة يربون تلاميذهم على مرافقة العمال والصناع والفلاحين ليكونوا في المستقبل من حملة الأقلام الثورية التي تبدد غياهب الجهل والظلم... نريد أدباء يبعث في الشعب روح التمرد على الفقر والسكنة والذل، ويروضه على الطمع الشريف في الثنى والكسب والمزة والكبرياء... نريد أدباء يطمعنا في استرجاع ما ضاع من مجد مصر والنيل... نريد أدباء يرفقنا إلى صفوف الجوارح، نريد أدباء يعلمنا فضل الخلق والتاب، نريد أدباء نسيطر به على الدنيا غير باغين ولا عادين »

أما بعد فقد أنهيت القول في محاسبة الأستاذ أحمد أمين بعد أن أرتقت جفونه خمسة أشهر كانت عنده كآف سنة مما تعدون، وأنا أشكر لمجلة « الرسالة » وقراءها ما لقيت من تشجيع وترحيب أنهيت من محاسبة أحمد أمين الباحث، أما أحمد أمين الصديق فله في قلبي أكرم منزلة وأرفع مكان، ولني براني لإلاحيث يجب في حدود النطق والعقل، فما أرضى له أن يكون من الساخرين بالأدب العربي وماضى الأمة العربية وسأبدأه بالتحية حيث تقيفُهُ. فلا يزو عنى وجهاً أراه أهلاً للكرامة والحب

وسلام عليه من الصديق الذي لا يفتر ولا يخون

تم البحث « زكي مبارك »

تقدم محمات سبكوريل

لحضرات زبائننا الكرام مزيد انتباهي بخجل
عيد الفطر المبارك أعاده الله على الجميع بخير وسعادة